

أضواء البيان

. @ 141 @ .

الأول أن معنى { رَتَقًا } فَفَتَقْنَا هُمَا { أي كانت السموات والأرض متلاصقة بعضها مع بعض ، ففتقها } وفصل بين السموات والأرض ، ورفع السماء إلى مكانها ، وأقر الأرض في مكانها ، وفصل بينهما بالهواء الذي بينهما كما ترى . . .
القول الثاني أن السموات السبع كانت رتقا . أي متلاصقة بعضها ببعض ، ففتقها } وجعلها سبع سموات ، كل اثنتين منها بينهما فصل ، والأرضون كذلك كانت رتقا ففتقها ، وجعلها سبعا بعضها منفصل عن بعض . . .

القول الثالث أن معنى { رَتَقًا } فَفَتَقْنَا هُمَا { أن السماء كانت لا ينزل منها مطر ، والأرض كانت لا ينبت فيها نبات ، ففتق } السماء بالمطر ، والأرض بالنبات . . .
القول الرابع { رَتَقًا } فَفَتَقْنَا هُمَا { أي في ظلمة لا يرى من شدتها شيء ففتقها } بالنور . وهذا القول في الحقيقة يرجع إلى القول الأول ، والثاني . . .
الخامس وهو أبعدها لظهور سقوطه . أن الرتق يراد به العدم . والفتق يراد به الإيجاد . أي كانتا عدما فأوجدناهما . وهذا القول كما ترى . . .

فإذا عرفت أقوال أهل العلم في هذه الآية ، فاعلم أن القول الثالث منها وهو كونهما كانتا رتقا بمعنى أن السماء لا ينزل منها مطر ، والأرض لا تنبت شيئا ففتق } السماء بالمطر والأرض بالنبات قد دلت عليه قرائن من كتاب } تعالى . . .
الأولى أن قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا أَنزَلْنَا } يدل على أنهم رأوا ذلك . لأن الأظهر في رأى أنها بصرية ، والذي يرونه بأبصارهم هو أن السماء تكون لا ينزل منها مطر ، والأرض ميتة هامة لا نبات فيها . فيشاهدون بأبصارهم إنزال } المطر ، وإنباته به أنواع النبات . . .

القرينة الثانية أنه أتبع ذلك بقوله : { مِّنَ } . والظاهر اتصال هذا الكلام بما قبله . أي وجعلنا من الماء الذي أنزلناه بفتقنا السماء ، وأنبتنا به أنواع النبات بفتقنا الأرض كل شيء حي . . .

القرينة الثالثة أن هذا المعنى جاء موضحا في آيات أخر من كتاب } كقوله تعالى : { وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضَ ذَاتِ الْمَدْعِ } لأن المراد بالرجع نزول المطر منها تارة بعد أخرى ، والمراد بالمدع : انشقاق الأرض عن النبات . وكقوله تعالى : { فَلَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَّا طَعَامَهُ } { ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا } .

